غريب سورة الحجر ومشكلها

قوله (إلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ)أى أجل مُوَقَّتٌ (لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ) أى هلا تأتينا بالملائكة ولولا مثلها أيضاً إذا لم تكن تحتاج إلى جواب وقد ذكرناها فى المشكل (فى شِيَعِ الأَوّلين) أصحابهم(لَا يؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوّلينَ) أى تقدمت سيرة الأولين فى تكذيب الأنبياء عليهم السلام(فيهِ يَعْرُجُونَ) أى يصعدون يقال عرج إلى السماء أى صعد ومنه تقول العامة عُرِجَ بروح فلانٍ والمعارج الدرج (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) غشيت ومنه يقال سكّر النهر اذا سدّ والسُّكر اسمٌ ما سكرت به وسكر الشراب منه إنما هو الغطاء على العقل والعين وقرأ الحسن سُكِرَت بالتخفيف ويقال سُحِرَتْ والعامة تقول فى مثل هذا فلانٌ يأخذ بالعين ﴿ش﴾ (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) ﴿قال أبو محمد﴾ بل تأتى لتدارك كلام غلطت فيه تقول رأيت زيداً بل عمراً ويكون لترك شىء من الكلام وأخذ فى غيره وفى القرآن من هذا المعنى كثير قال الله جل ثناؤه ـ س والقرآن ذِى الذِّكرِ ثم ـ قال تعالى ـ بَلْ الَّذِينَ كفروا فى عزة وشقاق ـ فترك الكلام وأخذ فى كلام ثان ـ ثم قال حكاية عن المشركين ـ أَأُنْزِلَ عَلَيهِ الذِّكرُ من بَيننَا ـ ثم قال ـ بَلْ هُمْ فى شَكٍّ من ذِكْرِى ـ فترك الكلام وأخذ ببل فى كلام آخر فقال ـ بل لمّا يَذُوقُوا عَذَابِ ـ فى أشباه لهذا كثيرة فى القرآن العزيز قال الشاعر [1]

---

(١) هو ابو ذؤيب وراية البيت فى غير هذا: ياهل اريك الخ .

بل هل أريك حول الحىّ غادية كالنخل زيّنها يَنعٌ وإفضاخُ

وقال آخر * بل مَنْ يَرَى البرقَ يَسرى بتُّ أَرقُبُه *

وإذا وليت اسماً وهى بهذا المعنى خفض بها وشبهت بربّ وبالواو وتأتى مبتدأةً قال أبو النجم

* بل منهلٍ ناءٍ من الغياض *

وكذلك إذا أتت مبتدأةً غير ناسقةٍ بكلامٍ على كلام كانت بمعنى ربّ وكذلك هى فى الشعر كقوله

* ومَهْمَهٍ مغبرةٍ أرجاؤه *

وقال آخر (١) * وداوِيَّةٍ قفرٍ تمشى نعامها *

وقال آخر * وهاجرة نصبْتُ لها جَنْبى *

يدلون بهذه الواو الخافضة على ترك الكلام الأول واستئناف كلام آخر (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا) يقال هى اثنى عشر برجا وأصل البرج القصر والحصن (حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) يقول وحفظناها من أن يصل اليها شيطان أو يعلم من أمرها شيئاً إلا استراقاً ثم يتبعه (شِهَابٌ مُبِينٌ) أى كوكب مضىء (مَوْزُونٍ) مقدر كأنه وزن (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) مثل الطير والوحش والسباع وأشباه ذلك من مالا يرزقه ابن آدم (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) قال أبو عبيدة لواقح إنما هى ملاقح جمع ملقحة يريد أنها

(١) هو الشماخ . وعجز البيت : كمشى النصارى فى خفاف الأرندج

تلقح الشجر وتلقح السحاب كأنها تنتجه ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولست أدرى ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمّى الرياح لواقح والريح لاقحاً قال الطرماح . وذكر برداً مدّهُ على أصحابه يستظلون تحته من الشمس

قِلقٌ لِأَفْنَانِ الرِّيا ... حِ للاقح منها وحائل

وقال اللاّقح الجنوبُ والحائل الشمال ويسمون الشمال أيضاً عقيماً والعقيم التى لاتحمل كما سمّوا الجنوب لاقحاً وقال كثير

* وهاجّ بِسَفْسَافِ التراب عَقِيمُها *

يعنى الشمال وانما جعلوا الريح لاقحاأى حاملا لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه ثم تحمله فينزل فهى على هـذا الحامل . وقال أبو وجزة يذكر حميراً وردت

حتى سلكن الشَّوىَ منهن فى مَسَكٍ

من نَسْل جَوّابةِ الآفاقِ مِهْدَاج

سلكن الشوى أى أدخلن قوائمهن فى الماء حتى صار الماء لها كالمسك وهى الأَسْوِرَةُ ثم ذكر أن الماء من نسل ريح تجوب البلاد فجعل الماء للريح كالولد لأنها حملته وهو سحاب وحلته، ومما يوضح هذا قوله تعالى ـ الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً ـ أى حملت (الصَّلْصَالُ) الطين اليابس الذى لم تصبه نار فاذا نقرته صوّت فاذا مسته النار فهو فخار ومنه قيل للحمار مُصَلْصِلٌ قال الأعشى

* كَعَدْوِ المصَلْصِلِ الجوَّالِ [1] *

ويقال سمعت صلصلة اللجام اذا سمعت صوت حَلقَه (مِنْ حَمَأٍ) جمع حمئة وتقديرها حلقة وحلق وبكرة الدلو وهذا جمع قليل (والمسْنُونُ) المتغير الرائحة وقوله لم يتسَنّ فى قول بعض أصحاب اللغة منه وقد ذكرناه فى سورة البقرة ـ والمسنون ـ أيضاً المصبوب ويقال سننتُ الشيء إذا صببته صبًّا سَهْلاً وسُنّ الماء على وجهك (الغِلّ) العداوة والشحناء (فَلاَ تَكُنْ مِنَ القَانِطِينَ) اليائسين (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ) أخبرناه (قَالُوا أَوَ لَمْ نَنْهَكَ عن الْعَالَمِين) أى أو لم ننهك عن أن تضيف أحدا وكانوا نهوه عن ذلك ﴿ش﴾ (لَعَمْرُكَ) أى لبقاؤك يقال منه لعمرك ولعمر الله وهو العمر يقال أطال الله عمرك وعَمْرَكَ وهو قسم بالبقاء (المتَوَسِّمِينَ) المتفرسين يقال توسمت فى فلان الخيرَ أى تبينته (وَإِنَّهُمَا لبِإِمام مُبِينٍ) أي طريق واضح بين وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصير الى الموضع الذى يريده (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَال بُيُوتًا آمِنِينَ) يريد أمنوا أن تقع عليهم (لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) أى أصنافا منهم (المقْتَسِمِين) قوم تحالفوا على عضْهِ النبي ﷺ وأن يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به الأَنْزَاع إليهم (الذين جَعَلُوا القرآنَ عِضِينَ) أى فرقوه وعضوه قال رؤبة:

---

(١) صدره: عنترس تعدو اذا مسها الضر